

## هاذا قصد بوذا بالخطاب الصحيح؟

يسبر هاثيو والتون السياق النعق للخطاب الصحيح لدى البوذية- والبحث عن الذات في منتديات النقاش البوذية على الإنترنت.



لافت أن «الخطاب الصحيح» يبدو تصنيفاً إيجابياً يصف الطرق التي يجب أن يتحدث بها الإنسان، لكنه مع ذلك معروف سلبياً، كأربعة أنواع من الخطاب واجب تجنبها. إذاً، يحثنا بوذا على أن نتجنب أنواعاً معينة من الخطاب، لكن التجنب ليس كافياً لوحده، لأننا بحاجة أيضاً لأن نصقل خطاباً صحيحاً. لكن إذا كان الإرشاد التقليدي يخبرنا فقط بما يجب تجنبه، ماذا يهكنا القول عن محتوى ما يهكنا «الخطاب الصحيح»؟ لقد أرشدنا [ليزلي غرين](#) إلى مقاطع أخرى يكون فيه بوذا إلى حد ما صريحاً حول هذا المحتوى وأريد أنا أدفع بالنقاش خطوة أخرى إلى الأمام عبر سؤال: هل يهكنا (وهل يجب علينا) أن نفصل مفهوم «الخطاب الصحيح» عن السياق الأخلاقي البوذي النوسع مع الإبقاء على تصنيف ذو معنى؟ إن طرح غرين هو محاولة للانتزاعه من ذلك السياق، أو علمته، بشكل ما. أود أن أقترح أن هناك قيمة إضافية في فحص هذا المفهوم ضمن ذلك السياق النوسع، تحديداً في فهم آثار الخطاب الخاطي (ومنافع الخطاب الصحيح بالتزامن) وتوضيح بعض القصور في «الخطاب الصحيح» كأساس لأنواع قواعد الكلام التي يريدها ليزلي أن نعمل على تنهيتها.

في البداية، من النافع أن نصف أكثر قليلاً هذا السياق الأخلاقي البوذي النوسع، أو ما يهكنا تسميته بسجل السلوكيات الكلي، الذي يعد الخطاب الصحيح واحداً فقط من ممارسات مهمة ضمنه. علم بوذا أتباعه أن يسعوا للطريق الصحيح في ثمانية مجالات، تسمى الطريق النبيل الثماني. هذه المجالات هي النظرة الصحيحة، النية الصحيحة، الخطاب الصحيح، العول الصحيح، العيش الصحيح، الجهد الصحيح، الوعي الصحيح، والتركيز الصحيح. عادة ما يصنف أول مجالاتها على أنها جوانب «الحكمة»، والثلاثة التي تليها على أنها متصلة بـ«السلوك الأخلاقي»، أما الثلاثة الأخيرة على أنها تعكس جوانب «التركيز».

هناك أمر مهم بحاجة للتوضيح أكثر هو الصلة السببية الجوهرية - من منظور بوذي- بين كل من هذه الجوانب: أي بين الأفكار، الكلمات، الأفعال والنثار. إن أخذ هذا الإطار السببي بعين الاعتبار يوفر لنا فرصة لفهم أكثر عنابة وأكثر دقة للنثار الكاهنة لخطابنا. يتحدث ليزلي غرين عن النثار على النفس وعلى الآخرين، طبعاً آثار الخطاب الصحيح والخطي كليهما. تقدم لنا العقيدة البوذية قدراً لا بأس به من التفصيل حول هذه النثار، بها فيها النثار الفيزيولوجية، النثار العاطفية، والطرق التي يقرر الخطاب من خلالها الأفكار والتفاعلات اللاحقة أبعد من فعل الخطاب الأول، والطرق ينتقل فيها الكلام في عالمنا الحالي إلى ما هو أبعد من سياقه الأصلي، وثم عندها يصل إلى أناس آخرين هناك ردت الفعل الفيزيولوجية والعاطفية الناتجة عنه. لتستمر السلسلة من هناك، كون هذا سيحرض مزيداً من أفعال الخطاب من الآخرين، ليستمر ذلك أبداً. إذا كنا مهنيين بأفعال الخطاب ونبصر آثار الخطاب، فإن السياق السببي-الأخلاقي البوذي الأوسع يوفر لنا في واقع الأمر ما هو أكثر بكثير لنشتغل عليه في هذا الخصوص.

هناك أمر مهم للكشف عنه فيها يخص «الصحيح» في الخطاب الصحيح. يهكنا التفكير بهذا «الصحيح» على أنه يشكل مجموعة من القيم الأخلاقية لكن هناك شيء أبعد من ذلك. سيلا، الكلمة البالية («البالية» لغة هندية) للفئة الثانية من الطريق النبيل الثماني الذي يشتغل على الخطاب الصحيح، يتم ترجمتها أحياناً كـ«الأخلاقية» وأحياناً كـ«السلوك الأخلاقي». الشروحات البوذية تربط سيلا ليس فقط بالأخلاقية بل بفاهيم أخرى متعلقة هي «الانسجام» و«التناسق». يبدو هذا متفقاً مع التحذير الثالث المتعلق بالخطاب الصحيح، بأن لا يكون الإنسان تفرقياً في خطابه. الأمر، بالنسبة للبوذيين فإن هذه المفاهيم المترابطة لا تشير حصراً إلى الانسجام بين الناس بل أيضاً للانسجام داخل الفرد نفسه، الانسجام بين تلك الهجالات التي تولد الطريق الثماني.

ما تشير إليه فكرة الانسجام هذه هو أن الخطاب الصحيح لا يمكنه النهوض بنفسه وحيداً. فهو يعد فقيراً وغير مكتمل إذا تم اجترأه من العظمت الأخرى المتصلة بالطريق النبيل، أي ممارسات مثل النظرة الصحيحة أو الفهم الصحيح. كما لا يمكننا أن ننسى، على الرغم من الدافع لأن نعمل قيم السلوك الصحيح هذه، بأن هناك معنى بوذي خاصاً لها هي النظرة الصحيحة والفهم الصحيح. يتضمن هذا المعنى مجموعة من الافتراضات النونطولوجية والإبستمية المتعلقة بها هي شروط الوجود في الحقيقة وكيف يجب أن نتعرف إليها أو نفهمها.

حسناً قد يبدو هذا غير متصل بأطروحة ليزلي غرين، ذلك أن النظرة البوذية للواقع وهذه الفكرة الأعرق حول ما يعني «الصحيح» ليستا شيئاً يمكن تعويهم كونياً، وقد لا يمكن تعويهم بين العديد من البوذيين! لكنني أزعج بان هذا السياق الأخلاقي الأوسع يظل قادراً على إخبارنا بأمر هام حول فكرة الخطاب الصحيح وحول قواعد الكلام المشتقة من هذه الهجالات. لكي أفعل ذلك، أود أن أنظر إلى الطرق التي تحدثت من خلالها بعض البوذيين حول غايات الخطاب الصحيح.

لقد قالت واحدة من بوذيي زين (طريقة Zen) اسمها باتريسيا فيلان بأن «الخطاب الصحيح يعني استخدام التواصل كطريقة لتعويق فهمنا لأنفسنا وللآخرين وكطريقة لتطوير بصيرة». بذلك من هذا المنظار، فإن الهدف الثماني للخطاب الصحيح لن يكون في الموضوع الذي يختتم به غرين تحليله، أي التفكير كيف يمكن أن نستعمل المؤسسات السياسية والقانونية لإرشاد أفعال مثل الخطاب. بدلاً عن ذلك، فإن الخطاب الصحيح ينظر إليه بالدرجة الأولى كتهربين يستهدف التهمة الأخلاقية الداخلية والتطهر. العالم البوذي الشهير والمترجم بيكو بوذي يشرح بأن أشكال المنفعة العامة من الخطاب الصحيح، كتلك التي يقترحها ليزلي، هي بالحقيقة فوائد ثانوية؛ هي نتائج للتركيز الرئيسي، وهو التغيير الداخلي.

إن الفرق في التركيز مهم. كل سلوكيات الطريق النبيل الثماني تسعى للتقليل من آتا كنا إذا «الذات حول التمركز» أو «الإيغو» (atta) نركز فقط على الفوائد الاجتماعية وإذا فصلنا الخطاب الصحيح كسلوك عن توجهه الأساسي باتجاه تدهير الذات المتمركزة حول نفسها، فإننا نفقد الكثير من أراضيته الأخلاقية. إذا أعدنا إدراج النفس ضمن تقييونا، ليس فقط كفاعل ينتج أفعال الكلام بل أيضاً كفعال به ضمن السيرورة السببية التي يولدها فعل الخطاب (تذكر الشبكة الضخمة المترابطة من النثار المتصلة بالحالات الفيزيولوجية والعاطفية المذكورة سابقاً)، نحصل على صورة أفضل للطرق التي يمكننا من خلالها تشجيع الخطاب الصحيح اجتماعياً، وكذلك صورة أوضح للتقييدات المتأصلة في هذه المقاربة.

إذن قد يحاجج البوذيون بأنه بينما قد يبدو الترويج للخطاب الصحيح سلوكاً جيداً، فإنه في نهاية الأمر أقل فاعلية لأن العملية لم تبدأ بشكل مبكراً جيداً ضمن السلسلة السببية. هذا لأن أفعال الخطاب تتولد في الذهن، في الأفكار. التفرقة بين الخطاب الخطي والصحيح، ومن ثم

صقل الأخير، يتطلب بداية الاهتمام بالتفكير الصحيح. قد يساعدنا هذا أيضاً في تعيين فهم أعمق لتصنيف الخطاب الذي لا قيّمته له، أبعد من ذلك السطحي. هناك في الواقع الكثير من البحث عن الذات- قد يسهمها بعض قلبي اللطف (سخريّة) «التحديق في السرة»- ضمن منتديات النقاش والرسائل البوذية التي يحاول الناشرون فيها أن يتفكروا بنواياهم في نشر تعليق وبالفكر الذي يقود فعل الخطاب الرقمي النهائي الخاص بهم.

غير إن حقيقة أن الخطاب الصحيح مقصود به أن يكون جزءاً من مهارة للتطهر الأخلاقي تلفت نظرنا إلى القيود المحددة، خاصة ضمن سياق قانوني ليبرالي. قد تتطلب الحياة السياسية (أو تعول على الحفاظ على) أشكال من الخطاب تنتهك بشكل جلي إما نص أو روحية الهادئ التي توجه إلى الخطاب الذي يفترض تجنبه. الخطاب الساخط أو التفريقي سيقود فقط إلى مزيد من الغضب والتفريّة؛ السخريّة ستكون الجرثومة ضمن حلقة قد تولّد العيب، السخط، الوحدة، أو الانتقام. هذا النوع من الخطاب حتّى لا يتصل بأي شكل بهدف البوذية في التشجيع على ممارسات يومية طاهرة لخطاب صحي. لكنها قد تكون وسيلة لغاية أعظم، مثل فصل الجهاز العسكري المدمر عن سيطرة حزب متسلط أو تقويض شرعية ديكتاتور وحشي في أوساط شريحة من الشعب.

إن القيم التي يأتي بها بوذا ليوجه ممارسة الخطاب ولأنه للتقدم الأخلاقي ضمن طريق يسعى في النهاية إلى التخلص من كل التفضيلات ويؤدي إلى وجود متحرر كلياً (من المتع) ضمن العالم، غير مرتبط بأي أهنيات للنفس أو بأي التزامات أخرى. تولّد هذه القيم هوقفاً مناسباً من الكلام عندها يتم فهمها ضمن سياق الممارسات السبعة الأخرى ضمن الطريق. لكنه هذا التوجه الأخلاقي جداً هو ما يكشف عن حدود قواعد الكلام هذه عند استخدامها كهوجه للحديث ضمن سياق اجتماعي أوسع. إن مقتضيات العدالة قد تتطلب خطاباً «خاطئاً»، من منظور بوذي، أو على الأقل، قد نرغب في تطوير قواعد خطاب تبقىنا أحراراً في استعمال هذا النوع من الخطاب النافع (الغير صحي مع ذلك)، على الرغم من أنه قد يبطل تقدمنا ضمن الطريق الأخلاقي الأطول.

هذا التحدي يعكس متطلبات متناقضة في الفلسفة البوذية غالباً ما تبرز إلى السطح: كيف نوازن بين الحاجة إلى رباطة الجأش والسكينة حيال أشياء في هذا العالم في الوقت نفسه الذي نبقي فيه قلوبنا منفتحة على معاناة الآخرين ونلبي الشدة التي يتطلبها النضال من أجل العدالة الاجتماعية؟

هاتيو ج والتون هو زميل بحثي زائر بلقب «أونغ سان سو كوي» مختص بالدراسات البورمية المعاصرة، في كلية سانت أنتوني، في جامعة أوكسفورد.

منشور بتاريخ فبراير 10, 2015